



محاكمات بدائع التحديث: قراءة جديدة للإصلاح الإسلامي والمادي في عصر محمد رشيد رضا

كيف واجهت الفتاوى الإسلامية تحديات منتجات الحداثة وأبعادها الفلسفية والاجتماعية؟ كتاب «محاكمات بدائع التحديث» يفتح نافذة على الجدل العميق بين الالتزام بالشرعية والتكيف مع المستجدات العصرية.

عبر تحليل فتاوى رشيد رضا، يقدم المؤرخ ليور هالي في قراءة جديدة للإصلاح الإسلامي المادي في حقبة الاستعمار والحداثة. الكتاب يناقش كيف تعامل رضا مع الابتكارات الحديثة، مثل العملات الورقية والتلغراف، وما أثارته من تساؤلات حول انسجامها مع مبادئ الشريعة.

يكشف الكتاب عن دور **رشيد رضا** في صياغة خطاب إصلاحي يوازن بين التقليد والانفتاح، وسط جدل متباين بين أنصاره الذين رأوه مصلحًا مجددًا، ومنتقديه الذين اعتبروه متراجعًا عن الإصلاح. هل كان رضا رمزًا للتكيف أم الاستسلام؟ الإجابة تحمل رؤية جديدة لفهم الإصلاح الإسلامي الحديث.

استكشف عمق هذا النقاش الفكري المثير من خلال هذه القراءة لكتاب «محاكمات بدائع التحديث». والتعرف على كيفية تفاعل الفقه التقليدي مع الحداثة واكتشاف التوجه الإصلاحي في أحد أهم مراحل التاريخ الإسلامي.

كتاب محاكمات بدائع التحديث : الخلفية الفكرية والتاريخية

يعد كتاب «محاكمات بدائع التحديث: الإصلاح العالمي والمادي للإسلام في عصر محمد رشيد رضا (1865-1935)»، للمؤرخ ليور هالي في، من الأعمال الأكاديمية الحديثة التي تسلط الضوء على واحدة من أكثر الفترات تعقيدًا في التاريخ الإسلامي الحديث. يقدم الكتاب، الصادر عن **مركز نماء للبحوث والدراسات** عام 2024 بترجمة محمد كمال، دراسة متأنية للممارسات الفقهية الإسلامية في مواجهة تحديات الحداثة المادية التي اجتاحت المجتمعات الإسلامية بفعل التوسع الاستعماري والتحول الاقتصادي والاجتماعي.

يستعرض الكتاب فتاوى رشيد رضا التي نُشرت في **مجلة «المنار»**، والتي شكّلت منصة رئيسية للإصلاح الإسلامي في زمنه. بقراءة تحليلية لهذه الفتاوى، يُلقي الكتاب الضوء على العلاقة بين الشريعة الإسلامية والابتكارات الحديثة، مستعرضًا كيف ساهم رضا في تقديم نموذج جديد للتعامل مع الحداثة.



تزامنت فترة محمد رشيد رضا مع تصاعد الرأسمالية، التي فرضت تحديات كبرى على المجتمعات الإسلامية. هذه التحديات لم تكن سياسية فقط، بل امتدت لتشمل قضايا ثقافية واقتصادية ودينية حيث واجهت الأمة الإسلامية آنذاك تساؤلات جديدة حول كيفية التعامل مع المنتجات المادية الحديثة، مثل العملات الورقية، والتلغراف، وتسجيلات الحاكي، ومحارم المرحاض، التي جلبها الاستعمار.

في هذا السياق، كان محمد رشيد رضا أحد أبرز المفكرين الذين سعوا إلى تقديم حلول تجمع بين الالتزام بالشريعة والاعتراف بضرورات العصر. هاجر رضا من طرابلس الشام إلى مصر، وأسس مجلة “المنار” عام 1898، التي كانت منبرًا فكريًا لإصدار فتاواه ومناقشة قضايا عصره.

موضوع الكتاب: المنتجات الحديثة في ميزان الشريعة

ركز كتاب “محاکمات بدائع التحديث” على دراسة مجموعة من الفتاوى التي أصدرها رشيد رضا، والتي تمثل ردودًا على استفسارات المسلمين حول العالم بخصوص منتجات حديثة ظهرت في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين. من أبرز المنتجات التي شملتها الدراسة :

- **العملة الورقية:** طرحت تساؤلات حول مشروعيتها كبديل للعملات المعدنية التقليدية.

- **التلغراف والبرقيات:** باعتبارها وسيلة اتصال جديدة أثارت أسئلة حول استخدامها في المعاملات الشرعية.

- **الفونوغراف :** ناقش رضا استخدامها في ظل الجدل بين من اعتبرها ابتكارًا مرفوضًا وآخرين رأوا فيها وسيلة تعليمية ودعوية.

- **محارم المرحاض:** باعتبارها بديلًا حديثًا لوسائل التنظيف التقليدية، طرحت تساؤلات عن مدى توافقها مع الأحكام الشرعية.

- **الأزياء الأوروبية :** مثل (البنطلونات) التي مثلت رمزًا للحداثة، وأثارت نقاشات حول تبنيها من قبل المسلمين.

منهجية المؤلف: دراسة أنثروبولوجية تاريخية



مؤلف الكتاب هو ليور هاليافي، مؤرخ كندي متخصص في تاريخ الإسلام المبكر، والدين والثقافة الإسلامية. ولد سنة 1971م حصل على شهادة الدكتوراه في التاريخ والدراسات الشرق أوسطية من جامعة هارفرد. معروف بأبحاثه التي تتناول التداخل بين القانون الديني والثقافة المادية، لديه العديد من البحوث في تاريخ الإسلام والمجتمع الإسلامي. من مؤلفاته أيضًا: (Modern Things on Trial, 2019) وكتاب (قبر محمد). كما شارك في تأليف كتاب بعنوان (Religion and Trade). اعتمد هاليافي في تحليله على منهجية تجمع بين **الأنثروبولوجيا** والتاريخ، حيث يُظهر كيف أن الفتاوى التي أصدرها رضا لم تكن مجرد أحكام فقهية بحتة، بل كانت انعكاسًا لظروف اجتماعية واقتصادية وسياسية.

مجلة المنار

قدم هاليافي ثلاث نقاط محورية:

- **محورية الفائدة العملية:** يبرز أن رضا ركّز على المنفعة العملية والشرعية للمنتجات، بدلًا من التركيز على مصدرها الأوروبي. كان هدفه الرئيسي ضمان أن هذه الابتكارات لا تتعارض مع الشريعة.
- **الطابع العالمي لفتاوى رضا:** يشير إلى أن رضا لم يخاطب جمهورًا محليًا فقط، بل تلقى استفسارات من أماكن بعيدة مثل البرازيل، روسيا، الهند، والصين، مما يعكس عالمية الخطاب الإصلاحية الذي قاده.
- **الإصلاح المادي:** يبتعد الكتاب عن التحليل التقليدي للأفكار الإصلاحية ويركز على الدور الذي لعبته الابتكارات المادية في تشكيل الفكر الإسلامي الحديث.

قراءة جديدة لرشيد رضا



يروج كتاب “محاكمات بدائع التحديث” لمفهوم ونهج في تعامل رشيد رضا مع الابتكارات الحديثة بخلاف المدرسة الفقهية التقليدية التي قد ترفض أي جديد، وتبني رضا منهجًا يقوم على التيسير والتكيف، مستندًا إلى القواعد الكلية للشريعة. هذا المنهج سمح له بدعم استخدام بعض الابتكارات مثل الفونوغراف، مؤكدًا أن الإسلام لا يعارض **الحدائث** إذا ما احترمت المبادئ الأساسية للشريعة.

أبرز الكتاب عدة استنتاجات مثيرة:

- رغم أن الابتكارات المدروسة أوروبية المنشأ، فإن رضا ركّز على كيفية انسجامها مع الشريعة، دون انتقاد “الغرب” ككيان ثقافي.
- أعادت مجلة “المنار” تعريف الفتوى كوسيلة عابرة للحدود، تساعد المسلمين على التعامل مع قضايا العصر في أي مكان في العالم.
- السياق المادي في الإصلاح في زمن رضا لم يكن مجرد حركة فكرية، بل عملية متداخلة مع التحولات المادية التي فرضتها الحدائث.

ما أهمية الكتاب ؟

يعد كتاب “محاكمات بدائع التحديث” إضافة قيمة للمكتبة الفكرية حول الإصلاح الإسلامي الحديث، لأسباب عدة:

- ركز الكتاب على الإصلاح من منظور جديد مادي عالمي، متجاوزًا النقاشات الفكرية التقليدية.
 - إعاد الكتاب قراءة شخصية رشيد رضا وكسر الصورة النمطية المتصورة عنه وقدمه كشخصية متعددة الأبعاد، تجمع بين الالتزام بالنصوص والانفتاح على العصر.
 - عرض الكتاب تكيف الشريعة الإسلامية مع الابتكارات الحديثة دون أن تفقد هويتها.
- وبالرغم من أهمية موضوع الكتاب، إلا أن يمكن تسجيل بعض الملاحظات:
- اقتصرت الدراسة بشكل كبير على مجلة “المنار”، وكان من الممكن توسيعها لتشمل مصادر أخرى تعزز من عمق البحث.



- التركيز على السياق المادي والاجتماعي للفتاوى أثر على تغطية الاختلافات الفقهية والنقاشات الشرعية بشكل متوازن.
- استخدام بعض المصطلحات الأجنبية مثل "الإصلاح المادي" قد تحتاج إلى تأصيل إسلامي أعمق لجعلها أكثر انسجاماً مع التراث الإسلامي.

خاتمة

«محاكمات بدائع التحديث» دراسة فريدة تسلط الضوء على العلاقة بين الشريعة الإسلامية والحدائث المادية، وتعيد تقييم دور رشيد رضا كرمز للإصلاح العالمي. يقدم الكتاب نموذجاً جديداً لفهم الإصلاح الإسلامي في زمن التحولات الكبرى، ما يجعله مرجعاً لا غنى عنه للمفكرين والباحثين في الشريعة والتاريخ الإسلامي الحديث.